المقـــدّمـــة

بقلم : الدكتور توفيق سليمان
المدير العام للآثار والمتاحف

لقد حرصت المديرية العامة للآثار والمتاحف في القطر العربي السوري أن تنشر كافة تقارير الحفريات التي اجريت خلال السنوات الاخيرة في مناطق أثرية تعود الى ما قبل التاريخ في القطر العربي السوري في عدد خاص من مجلة الحوليات العربية السورية أسميناه عدد « ما قبل التاريخ » • وقد هدفت المديرية من ذلك تمكين القارىء الاطلاع على هذه التقارير في مجلد واحد يجمع كافة هذه التقارير تسهيلا له لمراجعتها عند الحاجة وذلك خير من أن تكون قد نشرت في اجزاء عديدة من الحوليات العربية السورية وفي كتب أخرى •

ليس هدف هــذه المقدمة المبسطة الدخول بتفاصيل حفريات ما قبل التـاريخ التي اجريت حتى الآن في منطقة الشرق الادنى ، وانما تدور حول التأكيد على أهمية هذه المنطقة من العالم على صعيد تطور مدنية انسان ما قبل التاريخ وخاصة في القطر العربي السوري •

ولو تصفحنا تاريخ الحفريات الاثرية التي اجريت في منطقة الشرق الادنى لوجدنا أن أكثر هذه الحفريات يكشف لنـا النقاب في أسفل طبقاتها عن مدنيات انسان ما قبل التـاريخ • ولهذا يحسن بنا تعداد بعض هــذه الحفريات مشيرين فيها فقط الى نوع مدنية انسان ما قبل التاريخ التي استطعنا تحديدها بصورة مبدئية على يد هذه الحفريات • يمكن تقسيم منـاطق الحفريات المعنيّة من حيث استمرار سُكناها عبر آلاف السنين الى قسمين :

١ ــ المنـاطق التي عثر في اسفل طبقاتها على آثار انسان ما قبل التاريخ ومن ثم استمرار سُكنى الانسان لها بلا انقطاع أو بصورة متقطعة حتى خلال العصور التاريخية •

٢ ــ المناطق التي تحوي كهوفها أو طبقاتها فقط على آثار ما قبل التاريخ •

ولو ألقينا بنظرة على الجدول المرفق(١) لرأينا أن عدد الحفريات من النوعين قد بلغ حتى الآن ستة وخمسين حفرية • ويرينا هذا الجدول ــ على سبيل المثال لا الحصر ــ ان التطور الحضاري قد استمر دون انقطاع في هذه المنطقة من فجر العصر الحجري القديم حتى نهاية العصر الحجري النحاسي شاملا العصور التاريخية أيضا • كما يبين لنا الى جانب ذلك ان آثار العصر الحجري النحاسي قد ظهرت في اثنتين وثلاثين منطقة وان الحفريات سلمتنا آثار انسان العصر الحجـري في اربعة عشر منطقـة أيضا وان آثار العصر الحجري الوسيط ظهرت في ستة من الحفريات

---

(١) يرجى الرجوع الى الجدول المعني في النص الاجنبي من هذا العدد •

بشكل أكيد بينما أبانت لنا الحفريات في ستةعشر منطقة على آثار العصر الحجري القديم •

وتنتشر مناطق هذه الحفريات في كافة أنحاءالشرق الادنى : في القطر العربي الفلسطيني والسوري والعراقي وفي آسيا الصغرى • (أنظر المخطط المرفق في القسم الاجنبي) •

وقد عثر على آثار ما قبل التاريخ في القطرالعربي الفلسطيني في المناطق التالية : بئر السبع[١] ، وكهوف الكرمل[٢] ، وتل السلطان(اريحا)[٣] ، وخربة كرك ، وتل المتسلم (مجدو)[٤] ، وتل النصبة[٥] ، وتل البلاطة(زيشم)[٦] ، واليرموك[٧] ، وغزّول[٨] •

أما في القطر العربي السوري فقد زادُ عددالحفريات التي ظهرت فيها آثار انسان ما قبل التاريخ عن العدد الذي بلغه القطر العربي الفلسطيني واللبناني ، وهذه الحفريات هي : جرابلس (كركميش)[١] ، تل برزيب (تل احمر)[٢] ، وألالخ (تل العطشانة)[٣] ، وتل براك[٤] ، وبيبلوس (جبيل)[٥] ، وتل شاغاربازار[٦] ، وتل حلف[٧] ، وتل الجديدة[٨] ، وحماة[٩] ، واوغاريت (رأس شمرا)[١٠] ،وباغوص[١١]، ورأس العين[١٢]، وتبة الحمام[١٣] وتل سوكاس[١٤] ، وتل المريبط[١٥] ،وبقرس[١٦] ، وتل الرماد[١٧] ، وصيدنايا[١٨] ، ودرعا[١٩] ، وجرف العجلا[٢٠] ، ويبرود[٢١] ، واللطامنة[٢٢] ، وترسوس[٢٣] ، وسمأل (زيندشيرلي)[٢٤] ، وساقة شي كوتسي[٢٥] •

---

(1) Archaeology, XII/1959
(2) Garrod, D. ; McCown, T.H. : The Stone Age of Mount Carmel, I - II London 1937/39.
(3) Sellin E. ; Watzinger, C. ; Jericho, Leipzig 1913 ;
Kenyon, K. : Digging up Jericho, New York, ; AAA 23.5.59.
(4) Lamon, R.S. ; Loud, G. : Meggido , I - II, Chicago 1939/48
(5) McCown, C. C. : Tell en - Nasbeh, I - II , New Haven (Conn.) 1947
(6) Zeitschrift des deutschen Palästina - Vereins, 49/1926 ff
(7) Stekelis, M. : A New Neolithic Industry in Yarmuk.
(8) Mallon, A. ; R. : Teleilat el Ghussul, I - II, Rom. 1939/40.

(1) D. G. Hogarth : Carchemisch, Part I, London 1914
L. Woolley : Carchemisch, Part II, London 1922
(2) F. Thureau - Dangin, M. Dunand : Til Barsib, Paris 1936
(3) L. Woolley : Ein vergessenes Königreich, Wiesbaden 1954
(4) M. E. L. Mallowan : Iraq, 9/1947.
(5) M. Dunand : Fouilles de Byblos, I - II, 1939/1950
(6) M. E. L. Mallowan : In Iraq, 3/1936.
(7) Fr. von Oppenheim : Der Tell Halaf, Leipzig 1931
(8) American Journal of Archaeology , 1937
(9) H. Ingholt : Rapport préliminaire de fouilles à Hama en Syrie, Kopenhagen 1940
(10) Cl. Schaeffer : Ugaritica, I, 1939.
(11) Du Mesnil du Buisson.
(12) Fr. Von Oppenheim : Tall Halaf.
(13) Braidwood.
(14) P. J. Riis.
(15) M. Van Loon.
(16) W. Van Liere - H. de Constenson.
(17) W. Van Liere - H. de Constenson.
(18) H. de Constenson.
(19) Ch. Cauvin.
(20) S. Coon - B. Schroeder.
(21) Rust - R. Solecki : S. Rust : Die Hölchenfunde von Jabroud, Neumünster 1950.
(22) Rust - R. Solecki.
(23) H. Goldmann : Gözlüküle Tarsus, I, 1950
(24) Orient Comité zu Berlin : Ausgrabungen in Sendschirli, 1893
(25) J. Grestang : Excavations at Sokjegeuzi in North Syria, Ann. Liv., I.

أما في القطر العربي العراقي فنجد كهوف هازر ميرد[١] بالقرب من باليجاورا ، وباليجاورا[٢] وشانيدار[٣] تسلمنا مجموعات من الادوات الصوانية والحجارة الاخرى من العصر الحجري القديم • كما تكشف لنا الحفريات الاثرية في مواقع اخرى من هـذا القطر النقاب عن لقى كثيرة تعود الى نفس هـذا العصر والعصور الحجرية اللاحقـة وذلك في المواقع التـالية : كـريم شاهير[٤] ، وحسونه[٥] ومتـراح[٦] ،وبالقرب من نوزى ، وسامراء[٧] ، ونيبثور[٨] •

ولا تقل آسيا الصغرى عن الاقطار العربيـة المذكورة أعلاه أهمية في عـدد المواقع الاثرية التي اقتصرت مجموعات لقيها على آثار ما قبل التاريخ مثل اديامان[١] ، وانقرة[٢] ، وبيرسيك[٣] ، وسيـلافوز[٤] ، واتيكوزو[٥] ، وكاراين[٦] ،وبينديك[٧] على بحـر مرمرة ، وبـيرين[٨] ، وتيككوى[٩] • كذلك لدينـا مواقع حفريات اخرى كشفت لنا النقاب عن عصور اخرى من ما قبل التاريخ تكمن طبقاتها تحت تلك التاريخية مثل :

وبولاتلي[١٠] ، وتبـة ماشان هييـك[١١] ،وبوييـك جوليسك[١٢] ، الاشـاهييـك[١٣] ، وأليشارهييك[١٤] :

انه لمن المجـازفة بمكان أن نحاول تحديد العمر الزمني لعصور ما قبل التاريخ بأرقام خاصة وانها تصل مئات الآلاف من السنين • ولما كنـا ما زلنا حتى الآن في خلاف بالرأي حول تحديد القرن الزمني ، الذي تنتهي فيه عصور ما قبـل التاريخ ويطل علينا فجر التاريخ بنوره ، فكيف اذاً باختلاف آرائنا في تحديد العصور الحجرية بأرقام ؟ • ولهذا يجدر بنا تسمية هذه العصور

---

(1) Garrod, D. A. E. and D. M. A. Bate in : Bulletin of the American School of Prehistoric Research , 6, 1930 .
(2) Braidwood R. J. , In Sumer, VII , 1951
(3) R. S. Solecki in : Sumer VIII, 2, 1952 and IX, 1, 2, 1953, XIV , 1958
(4) R. J. Braidwood in Sumer VII , 1951
L. Braidwood : Digging beyond the Tigris, New York 1953
(5) S. Lloyd and F. Safar : Tell Hassuna in : Journal of Near Eastern Studies, IV, 1945
(6) F. Basmaji in : Sumer, IV, 2, 1948
R. J. Braidwood, in : Journal of Near Eastern Studies, XI, 1952
(7) E. Herzfeld : Die Vorgeschichtlichen Töpfereien von Samarra, Berlin 1930
(8) H. V. Hilprecht : Die Ausgrabungen in Bel-Tempel zu Nippur , Leipzig 1903.

(1) S. A. Goetze : Kleinasien, München 1957
(2) S. A. Kansu : Türk, Antropoloji Mecmuasi, 15, 1939
K. Bittel : Archäologischer Anzeiger , 1942
(3) K. Kökten : Dil ve Tarih - Cografya Fakültesi Yillik Calismalari Dergisi, 5, 1947
(4) Türk Tarih Kurumu, Belleten 7, Ankara 1943.
(5) S. A. Kansu : Etiyokusu Hafriyati Raporu, 1937
K. Bittel : Archäologischer Anzeiger 1941
(6) K. Kökten : Dil ve Tarih - Cografaya Fakültesi Yillik Calismalari Dergisi, 5, 1947
(7) M. Atasyan : Dil ve Tarih - Cografya Fakültesi Yillik Calismalari Dergisi, 1, 1941
(8) S. A. Kansu : Türk Tarih Kurumu Belleten 9, 1945
(9) K. Bittel, in : Zeitschrift der Gesellschaft für Erdkunde, 7/8, 1938
(10) S. Lloyd a. N. Gökce : Excavations at Polatli , Anatolian Studies, Vol. I, 1951
(11) Archiv für Orientforschung, 14, 1941 - 1944
(12) S. Lloyd : Early Anatolia, 1956
(13) R. O. Arik : Les fouilles d'Alaca Höyük, 1935
(14) H. H. v. d. Osten : The Alishar Hüyük , Seasons 1930 - 1932

نسبة لنوع لقيتها • ونتيجة لذلك كان لا بد من الاحتفاظ بتسميات هذه العصور المبكرة من تاريخ البشرية ، المتفق عليها وهي العصر الحجري القديم والوسيط والحديث ، لأن الانسان لم يكن يعرف المعدن آنذاك • ولذلك اضطر أن يقتصر في صنع كافة ادواته على الحجر والى جانبه الخشب احيانا •

فبالرغم اننا ما زلنا في معلوماتنا نتخبط في ظلام دامس تقريبا حول هذه العصور الغابرة من تاريخ البشرية ، اذا ما قيست بعصر فجر التاريخ ، الا اننا نبقى احسن حظا مما كان يعلمه أجدادنا قبل قرن من الزمن حول هذه العصور • انه لمن الصعب جدا — ان لم يكن المستحيل — أن نحيط الا تخيلا بالمرحلة التي مر بها نشوء البشرية ، وكيف أن استطاع الانسان أن يثبت وجوده في مطلع العصر الحجري القديم الذي كثيرا ما يُفسَّر بالعصر الجليدي • وحدث ما حدث بعد هذه الفترة الجليدية من تغييرات طبيعية وانقراض الكثير من الحيوانات التي كانت تعيش في هذا العصر ، الذي كان الانسان فيه حرا في الطبيعة يعيش على صيد الحيوانات دون أن يستطيع استخدام الا الخشب والاحجار الموجودة حرة في الطبيعة كسلاح له • وفي هذا المجال لا نستطيع أن نتصور كيف كان الانسان يعيش ، سوى الافتراض من ان غذاءه قد اقتصر على تناول ثمار الاشجار ولحوم بعض الحيوانات التي استطاع اصطيادها • كما ولا بد انه قد استخدم الى جانب الحجارة الحرة في الطبيعة الحجارة الصوانية التي شحذها حتى في العصر الحجري القديم ، حيث وجدها خير مادة حادة يصنع منها معظم ادواته اليومية الخاصة كالسكاكين والمكاشط والمدالك •• الخ • ولقد كان هذا بشكل بدائي ساعده على الحفاظ على حياته ضد عالم الحيوان • ومن ناحية اخرى فيمكننا النظر الى هذا التقدم في صنع هذه الادوات على أنه خير اشارة لارتقائه منزلة فوق مستوى عالم الحيوان فكرا •

اما سكنى هذا الانسان فيمكن انه لم يتعد في فجر العصر الحجري القديم اسلوب السكن الحر في الطبيعة وذلك في اعالي الجبال واحيانا في الكهوف هربا من فيضانات العصر الجليدي والمياه والمستنقعات في الوديان والسهول • ثم أخذ بعدها يتجمع في الكهوف بشكل كلي • وفي النصف الثاني من العصر الحجري القديم لا بد وأنه أخذ يغزو في سكناه سفوح الجبال • وفي العصر الحجري والوسيط أخذ ينتقل الى الهضاب والاراضي السهلة • الا ان هذا لا يعني تخليه بصورة نهائية عن سكنى الكهوف • وفي العصر الحجري الحديث بدأ الى جانب ذلك يقطن منازل بدائية البناء صغيرة المساحة والحجم ذات شكل مربع أو دائري كما ظهر ذلك في تل مريبط وفي الطبقة التاسعة من اريحا والطبقة الخامسة من اوغاريت والطبقة الرابعة عشر في تل الجديدة والطبقة م في حماة •

ان الدليل الاكيد على اعتماد الانسان في غذائه على لحوم الحيوانات البرية هو عثورنا على تلك الكميات الضخمة من العظام التي وجدت في اماكن عديدة من مناطق تجمع أو

استيطان انسان ما قبل التاريخ في الشرق الادنى • وكان من بين الحيوانات التي اصطادها هذا الانسان في الحقبة الاولى من العصر الحجري القديم حصان النيل والجمل والفيل والخنزير والوعل •• الخ •

اما نوع انسان هذا العصر فينتسب الى النموذج النياندرتالي الذي وجد في اوروبا ، ودليلنا على ذلك هو العثور على هذا النموذج في مغارة الشول في جبل الكرمل • وقد استمر هذا النموذج على الارجح بالحياة طوال العصر الحجري القديم في القطر العربي السوري والفلسطيني • ومن ناحية اخرى نجد نموذج انسان كروماجنون الذي عاش أيضا على صيد الحيوانات والاسماك يحل محل النياندرتالي في العصر الحجري الوسيط • والشيء المميز للعصر الحجري الوسيط أيضاً هو استخدام انسان هذا العصر للعظام في التعبير عن اشياء فنية تميز بها هذا العصر • وبالاضافة الى ذلك فيتميز هذا العصر بصغر حجوم ادواته الصوانية اذا ما قورنت بالعصر السابق أي العصر الحجري القديم وبالعصر اللاحق العصر الحجري الحديث •

اما في هذا العصر الاخير فقد حدث أيضا تغير جذري تناول نمط سكن الانسان وذلك بقطناه بيوت ذات هندسة معينة كما دلت على ذلك طبقات الحفريات المذكورة اعلاه • وان دلت هذه البيوت على شيء فانما هو التفكير الجدي لانسان العصر الحجري الحديث بالاستقرار والانتقال من حياة الصيد الى حياة الزراعة • ويمكن اعتبار ذلك ثورة غيرت مجرى حياة الانسان الغابر •

وبالاضافة الى ذلك فقد بذل هذا الانسان جهودا كبيرة في سبيل الانتاج الفني • وليس في هذا الا البدء الفعلي بحضارة فنية ملموسة مهدت الطريق لازدهار الحضارة الانسانية في فجر التاريخ والعصور اللاحقة به •

وهكذا تدرج الانسان بجدية التفكير في حياته الخاصة مستمدا ملاحظاته من طبيعة محيطه فعثر سواء أعن قصد أم عن طريق الصدفة ، على معدن النحاس فاستخدمه في صنع بعض الادوات الخاصة به وبكمية محدودة جدا بادىء ذي بدء • وبهذا انطلق الانسان مرة اخرى وبالتدريج متحررا من السيطرة التامة لمادة الحجر عليه ، ولو ان هذه الاخيرة بقيت لمدة طويلة هي المسيطرة على مجرى تطوره • ومن هنا اتت تسميته الحقبة الاخيرة من ما قبل التاريخ فاطلق عليها العصر النحاسي ــ الحجري • كما اتصف هذا العصر بشيء جديد آخر هو صنع الفخار الذي لم يكن معروفا من قبل ، والذي نعتمد عليه اعتمادا رئيسيا في تقسيمنا لهذا العصر الى حقبات ومدنيات تعاقبت خلاله •

ولا نريد هنا أن نتعرض الى العلاقات التي قد تصل بين عصور ما قبل التاريخ في الشرق الادنى وبين مناطق اخرى مثل غربي اوروبا ومنطقة الدانوب لان المجال يضيق بنا في هذه المقدمة الصغيرة كما قلنا لبحث مثل ذلك •

ومهما يكن من الامر فقد توصلت ابحاثما قبل التاريخ لهذه المنطقة الى نتائج مرضية ومشجعة على الرغم من قصر عمر هذه الابحاث.

هذا وقد توجهت انظار البحاثة من المهتمين بأبحاث ما قبل التاريخ الى القطر العربي السوري خاصة بعد أن أظهرت الحفريات التي اجريت في هذا القطر على هذا الصعيد بعد الحرب العالمية الثانية امكانية تتبع تطور حضارة انسان ما قبل التاريخ بشكل ادق في هذه المنطقة من العالم وخاصة مرحلة الانتقال من حياة الصيد الى حياة الزراعة أي مرحلة الصياد ــ المزارع . وهكذا توسع نطاق الحفريات على صعيد ما قبل التاريخ في القطر العربي السوري خلال السنوات العشر الاخيرة مؤكدة أهمية هذا القطر العربي والمجالات الواسعة التي يقدمها الى العاملين من بعثات التنقيب الاثرية في هذا المضمار والمجالات الاثرية الاخرى . ولا غرابة في ذلك طالما انه ملتقى الحضارات في كافة مراحلها .

دمشق في ١٩٦٦/١٢/٣١

المدير العام للآثار والمتاحف

توفيق سليمان

دكتوراه وماجستير

في الآثار واللغات الشرقية القديمة